كلمة فضيلة الشيخ

محمد الغزالي السقا

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

لخدمة الإسلام لعام 1409هـ / 1989م

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء, ورئيس الحرس الوطني

أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي
أيها الحفل الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم :

حمدت الله حمداً طيباً كثيراً عندما نلت جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام, شعرت بأن في هذه المنحة أمارة على الرضوان الأعلى وتذكرت ما رواه مسلم عن أبى ذر رضي الله عنه، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، وبحمده الناس عليه ؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن.. فان تكن الجائزة التي منَّ الله بها بشرى معجلة ففي الفؤاد شوق إلى البشرى المؤجلة المخبوءة في طيات الغيب, والتي نرتقب من المنان تباركت أسماؤه أن يتطول بها على عبد يمرح في ستره, ويتطلع إلى عفوه (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات اليوم تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم).

قال بعض الناس: أكانت هذه الجائزة كطوق النجاة يدرك الغريق بعد أن يصل إلى الشاطئ؟ قلت كلا والله لقد جاءت وأنا أضرب الأمواج بعنف، أضرب لجًا تكاد تغمرني... مشكلتي أنني أحارب العلمانية والشيوعية والصليبية والصهيونية وبِدعًا رديئة في الداخل وغارات ماكرة في الخارج،

وإني اشتبك مع أعداء الإسلام في جبهات شتى، يكاد الكلام يغلبني وأنا أوزع قواي هنا وهناك في مقاومتها... إن الجائزة الكريمة جاءت في أوانها، فكانت خيرًا مضاعفًا وكانت مددًا مسعفًا يعين على الثبات في خدمة الإسلام ونصرة الحق، لقد قلت سأري أعداء الإسلام مزيدًا من القوة وتلوت في ضراعة دعوة موسى عليه السلام (رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين).

على أن هناك حقيقة ثقافية وسياسية أرى ضرورة شرحها.. أن علم المملكة العربية السعودية تميز على أعلام مائه وستين دولة بشعار فذ هو كلمة التوحيد, لقد خلا من الرسوم والأصباغ، وبرزت على رقعته الصافية الكلمة التي تمثل رسالة الوجود "لا إله إلا الله محمد رسول الله ".. عشرات الدول رأت أن ترسم راياتها شعارات أخرى, أما السعودية فقد رفضت المواربة والمداهنة, ودفعتها عزه الحق أو كبرياؤه إلى كتابة أشرف عنوان في الأرض والسماء, فإذا هاجت الفتن وأبت إلا غمط الحقيقة ورأت ألا تكون كلمة الله هي العليا, احتكمنا إلى القوة التي تحمى الحق, وتدفع الباطل... احتكمنا إلى السيف. إن هذا عصر القوميات التي تتعصب للأعراق والأوطان وتؤخر أو تضعف العلاقة بـــالله الأحد. ومن المحزن أن تهون أخوة العقيدة على حساب انتماءات ترابية ليس لها عند الله وزن.. إنني مع جمهرة الشعب هنا, ومع جماهير المؤمنين في العالم الإسلامي الرحب نحيى هذا العلم المزدان بكلمة التوحيد, ونقاوم تحته صفوف الإلحاد وضروب الإشراك.. ومنذ أومضت إشراقة الإسلام في هذه الجزيرة والدعوة والدولة كيان واحد كأنهما الروح والجسد, أو الآلة الدوارة والطاقة التي تحركها.. ولم يخرج التاريخ عن سننه المرسوم في القديم والحديث ولم تتوحد الجزيرة العربية إلا ببناة للدول يعرفون هذه الحقيقة وقد اعتمد عليها الملك عبد العزيز آل سعود عندما وجد العرب أهواء متباعدة, وشيعًا متنافرة فاستطاع بالعقيدة أن يلم الشتات ويحيى الموات لا آخر لها, ويقيم باسم الإسلام وللإسلام هذه الدولة العزيزة الجانب الرفيعة العماد، والعالم اليوم يموج بفتن ودعوات أو بأفكار وشهوات لا آخر لها، ومع البعد عن وحى الله لن يستقر وضع أو يستبين رشد, فلنشدد قبضتنا على مواريثنا الغالية، ولندقق نظرتنا إلى ما يبدو هنا وهناك فليس السراب كالعباب. والأمر كما صرح القرآن الكريم (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال) ؟ فلنعرف نفاسة ما شرفنا الله به، ولنأخذ ما أوتينا بقوة، حتى نقود العالم أجمع إلى سبل تحت راية التوحيد.

لقد آثرت في خدمة الإسلام أسلوبا أعتقد أنه أجدى الإسلام أسلوبا أعتقد أنه من غيره وأعود بالخير على أمتنا، لعله ثمرة دراسات تاريخية، وتجارب شخصية كثيرة.. إنني أتشبث بالأصول ثم أطوع الفروع لخدمتها؛ أي أنني أعوض الأركان التي لا مكان للخلاف فيها، وأتخير من الفروع الفقهية ما يساعد على قبول الأركان، وتعجبني الكلمة المأثورة "نتعاون فيما اتفقنا عليه للخلاف فيها ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه".

وأياً ما كان الأمر فسأبقى طالب علم أتردد على موائده التي مدها أئمة الهدى السلف الصالح والخلف التابع بإحسان. وسأبقى طالب حق لذته العظمى في حجة تتبخر اتضاحًا وشبهة تتضاءل افتضاحًا.. وسأبقى معترفاً بالجميل لمن طوقوا بالجميل عنقي، وأعزوا الإسلام حين كرموا واحداً من خدم الإسلام.